للمعظم وغيره توصف بالقلة تارة وبالكثرة أخرى فلم يوهم ذكر الاستقلال
فيهما احتقارا لاصلا بخلاف الذوات فان وصفها بانها استقلت
يوهم احتقارها اذ لا يستعمل الاستقلال فيها الا بهذا المعنى غالبا
نعم قرينة المقام لاسيما مع مراعات وصفهم بالعظمة تدفع ذلك الايهام
كما هو جلي وبين عظمت والعظمى تجنيس الاشتقاق وكان صلى الله عليه وسلم
من الحلم على من اذاه وزيادة الاحتمال لاعدايه وفرط الحلم عليهم والا
والاغضا عنهم بالغاية التي لم يصل اليها غيره ومن ثم جهلت قومه
اي قريش وغيرهم عليه اي اذوه اذى لا يطاق فضربوه وخنقوه واغروا
به سفهاءهم وصغارهم فضربوه ورجموه بالحجارة الى ان ادموا رجليه
فسال منها الدم على نعليه وشجوا وجهه وكسروا رباعيته ورموه بالسحر
والكهانة والجنون وتواعدوا على قتله مرات وحصروا لاجله بني هاشم
وبني المطلب في شعبهم سنتين حتى كادوا ان يهلكوا من الجوع كما مر جميع ذلك
في البخاري ومسلم من حديث عايشة انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل
اتى عليك يوم اشد من يوم احد قال لقد لقيت من قومك وكان اشد
ما لقيت منهم يوم العقبة وذكر ما مر من ذهابه الى ثقيف فاغروا به
سفهاءهم وصبيانهم فضربوه ورجموه فاغضى عنهم حلما وتكرما لاسيما
وقد جاءه لما اشتد ايذاؤهم له ملك الجبال كما رواه البخاري ومسلم من
حديث عايشة السابقة اتفاقا فانه قال بعد ان ذكر ما اذاه به ثقيف
لما خرج اليهم بعد موت ابي طالب يدعوهم الى الله ويستنصرهم على
قريش فانطلقت وانا مهموم على وجهي فلم استفق الا وانا بقرن
الثعالب اي ميقات اهل الحجاز فرفعت راسي فاذا انا بسحابة قد
اظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل فناداني فقال ان الله قد سمع قول
قومك وما ردوا عليك وقد بعث اليك ملك الجبال لتامره بما شئت

فنادى

فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك
وانا ملك الجبال وقد بعثني ربك اليك لتامرني بامرك ان شئت ان اطبق عليهم
الاخشبين فقال صلى الله عليه وسلم ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله
وحده لا يشرك به شيئا فكان الامر كما رجى صلى الله عليه وسلم واخو الحلم اي
الثاني في الامور وعدم الانتقام ممن اتى بمكروه وان عظم اي الذي طبع عليه حتى
صار غريزة له مختلطا بلحمه ودمه دابه اي شانه وعادته المستمر هو عليها الا
الاغضاء اي التغافل عن ان يلتفت الى انه اوذي فضلا عن ان ينتقم
ممن اذاه وفي كلامه المقابلة لما تقرر ان المراد بالجهل لازمه من ايذايه بما لا
يطاق ومن ثم لما اذوه يوم احد بشج وجهه وكسر رباعيته قيل له ادع
عليهم فقال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون اي علما ينتفعون به اما لجهلهم
اي اعتقادهم الشي على خلاف ما هو عليه وكثير منهم كانوا كذلك فكانوا يعتقد ون
على ايذايه ومقاتلته غفلة عما لو التفتت قلوبهم اليه ادنى التفاتة من معجزاته
لعلموا الحق واتبعوه من نورهم واما لعنادهم وهم الاكثرون قال تعالى
وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا اي فنزل علمهم منزلة
الجهل بل هو اضر منه كما لا يخفى ولهذا تعلم ان في تعبير الناظم بالجهل
تضمينا لجملة قوله يعلمون وان المراد بالحلم لازمه من عدم الانتقام وكذا
بين الامساك والاعطا والتحقق والظن الاتيان وفيه ايضا جناس
الاشتقاق بين اغضى والاغضا والتذييل بالمثل السائر واصل الاغضا
اطباق الجفن عن روية المكروه فاستعير لما ذكر بجامع الاعراض المكروه
فيهما واذا كان اخو الحلم دابه ذلك فكيف بنبينا صلى الله عليه وسلم وهو
الذي وصل من الحلم الى غاية لم يصل اليها مخلوق لان الله تعالى هو
الذي تولى تاديبه بنفسه وافاض عليه من خزاين حلمه وقدسه
حيث قال له خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وفسرها

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)